عباس ابراهيم

(١) هجرة الجنود السودانيين إلى اوغندا

عقد ، فى الخرطوم ، فى شهر فبراير من العام الماضى ، مؤتمر أكاديمى لبحث ومناقشة موضوع :« السودان فى افريقيا » . وقد ركزت المقالات التى قرئت فيه ، والنقاش الذى أثارته على شق واحد من شقى الموضوع ، وهو الأثر الافريقى فى السودان وأهمل المؤتمرون الجانب الآخر من الموضوع وهو الأثر السودانى فى افريقيا ، وقد أثار فى نفسى هذا الاغفال شتى الخواطر والآراء ، وعن لى أن أكتب سلسلة من المقالات أتناول فيها بالعرض والتحليل جزءا من هذا الجانب الذى اغفله ذلك المجمع العلمى ، وهو قصة انتشار العنصر السودانى فى افريقيا فى القرن التاسع عشر ، وأثر هذا الانتشار فى المجتمعات الافريقية . ونبدأ السلسلة بهذه العجالة التى تحكى قصة هجرة العساكر السودانيين ـ الذين يطلق عليهم لقب جنود أمين باشا (١) ـ الى اوغندا فى أواخر القرن الماضى ، واستغلالهم بواسطة فردريك لوجارد ـ مندوب شركة شرق افريقيا البريطانية ـ وهنرى كولفيل (٢) لغرض السيادة البريطانية على أوغندا ، وماترتب على ذلك من استيطانهم فى ذلك القطر ، وأخيرا تطرق للأثر الذى أحدثته تلك الهجرة وذلك الاستيطان فى تاريخ أوغندا فى القرن الماضى .

(١)

شهدت المديرية الاستوائية فى سنتى ١٨٨٤ ـ ١٨٨٥ مناوشات ومعارك بين قوات المهدية بقيادة كرم الله كركساوى وقوات الحكومة العثمانية بقيادة أمين حاكم المديرية . ولكن فى نهاية عام ١٨٨٥ ـ ولأسباب

---

١ ـ اسمه الاصلى ادوار شنيزر ، المانى الاصل ، اعتنق الاسلام وسمى نفسه امينا ، عمل كطبيب بالمديرية الاستوائية فى السودان ١٨٧٥ـ١٨٧٨ ، وفى العام الاخير عين حاكما للمديرية وظل يدير شئونها حتى عام ١٨٨٩ .

٢ ـ الذى تسلم ادارة الحمية فى مايو ١٨٩٤.

لاتهمنا فى هذا المجـــال ـ انسحبت جيوش المهدية من المديرية الاستوائية وزال عنها ـ لفترة وجيزة ـ خطـر المهدية . وكانت المديرية قد انعزلت عن الســـودان الشـــمالى والعالم الخارجى قبل انسحاب الانصار منها، فقد انقطعت عن العالم الخارجى منذ أن وصلتها آخر باخرة من الشمال فى ١٦ من مارس ١٨٨٣ ، كمـا انقطعت أحوالها عن العالم بعـــد قيام تلك الباخـرة فى ١٤ من ابريـل ١٨٨٣ ، وبقيت المديرية فى شـبه عزلة حتى وصلتها حملة الانقاذ بقيادة الرحالة المعروف ستـــانلى فى ١٤ ديسمبر ١٨٨٧ (٣) .

كانت أغلبية عساكر المديريـة الاستوائية بقيادة أمين باشا تتجمع فى كفاللى على الطرف الجنوبى مـن بحيرة ألبرت ، وفى هـذا المكـان دار حوار طويل بين أمـــين وستانلى ، استعمل فيـه ستانلى كـل أساليب الاقناع والاغراء والضغط ليحمـــل أمينا وجنوده على الانســـحاب من الاستوائية نهائيا والعودة الى مصر ، ولما لم تجد هـذه الفكرة قبولا لدى أمين حاول ستانلى اقناعه بأن ينتقل وجنوده الى الطـــرف الشرقى من بحيرة فكتوريا ، ويظهر أن أمينا قـد رحب بالفكرة الاخيرة ، ولكن العساكر السودانيين كانوا يعارضون بشـدة الانسحاب من المديريـــة ولا يودون مغادرتها .

وكانت النتيجة الحتمية لهـذا الخلاف بين القائد وجنوده أن شـق العساكر عصا الطاعة ، حيث تمـرد الجنود بقيادة اليوزباشى فضل المولى محمد على أمين ، وقبض الثوار على أمين ، وقـرروا عزلـه من وظيفتـه كمدير للمديرية الاستوائية ، وعـين حامد محمد قائد الفرقة الأولى حاكما عامـا للمديرية على أن يخلفه فى تلك الفرقة عبد الوهـاب طلعت وعلى أن يتولى سليم مطر قيـــادة الفرقـة الثانية .

وما كاد الثوار ينظمون أنفسهم حتى تبين لهم أن الخطر يلاحقهم من الشـمال ، فقـــد وردت الانباء أن الانصار استولوا على اللادو فى اكتوبر ١٨٨٨ ، وبعث قائدهم عمر صـالح برسالة الى أمين ـ الذى كان فى أسر جنـوده المتمردين بالدفلاى ـ يدعوه فيها للتسليم ، ولكن عساكر الحكومة العثمانية قتلوا رسل عمر صـــالح وصمموا على مقاومـــة الانصـار ،

---

٣ ـ ليس من شأن هذا البحث التعـرض للملابسات والظروف التى اكتنفت قيام هـذه الحملة المسماة ـ زورا وبهتانا ـ بحملة انقاذ امين باشا وجنوده ، ومن يود التعـرف على تلك التفصيلات وخط سير البعثة فليرجع الى :

الدكتور جميل عبيد : المديرية الاستوائية (القاهرة ١٩٦٨) ص ٢٤٧ـ٣٢٨

G.N. Sanderson, *England, Europe and the Upper Nile,* 1882—1899 (Edinburgh, 1966), pp. 27—46.

فاشتبك عمر صالح وجنوده مع جنود الحكومة العثمانية فى واقعة الرجاف فى نوفمبر عام ١٨٨٨ ، وانزل بهم شر هزيمة ، حيث لقى حامد أغا وعدد كبير من زملائه حتفهم وكان من نتيجة هذه الهزيمة أن أطلق العساكر سراح أمين الذى ذهب جنوبا الى وادلاى ثم الى الشاطىء الغربى من بحيرة البرت حيث انضم الى ركب ستانلى الذى كان متوجها الى الساحل .

وباختفاء أمين من المسرح ظل يتنازع السيطرة على مديرية خط الاستواء الانصار بقيادة عمر صالح ومقرهم الرجاف ، وبقايا قوات الحكومة العثمانية بقيادة فضل المولى محمد والتحق فضل المولى هذا وجنوده بخدمة البلجيك فى اكتوبر عام ١٨٩٢ ، ولكن الانصار بقيادة عربى دفع الله انقضوا عليهم وقتلوا فضل المولى وعددا كبيرا من جنوده بالقرب من وادلاى فى اواخر عام ١٨٩٣ ، وكانت هذه نهاية فريق من عساكر المديرية الاستوائية .

اما الجزء الثانى والأكبر وكان يقوده سليم مطر فقد غادر وادلاى فى مارس ١٨٩١ فى قافلة كبيرة تتكون من حوالى ثمانمائة جندى مسلح بالذخيرة وحوالى عشرة الاف شخص من نساء واطفال ورقيق ، وحطت القافلة الرحال فى معسكر كفاللى ، وهنا بقى الجزء الأكبر من قوات الحكومة العثمانية فى المديرية أملا فى وصول نجدة من مصر تعزز موقفهم فى المديرية وتسهل لهم الاحتفاظ بها أو تأخذهم الى مصر . ولم تصلهم هذه النجدة وانما وصل اليهم فى ٧ سبتمبر ١٨٩١ فزدريك لوجارد بهدف حملهم على النزوح الى أوغندا والانخراط فى سلك خدمة شركة شرق افريقيا البريطانية .

وقبل أن نسرد هذه القصة يتحتم علينا أن نقف قليلا لنلقى نظرة خاطفة على الأحداث التى كانت تدور فى أوغندا ، والتى دفعت فردريك لوجارد الى التفكير فى استخدام العساكر السودانيين بقيادة سليم بك مطر المرابطين فى كفاللى .

(٢)

تمخضت المفاوضات بين انجلترا والمانيا فى يوليو ١٨٩٠ عن الاعتراف بأوغندا كمنطقة داخلة فى نفوذ شركة شرق افريقيا البريطانية ، ولا يعنى هذا الاعتراف من جانب ألمانيا أن موقف الشركة هناك قد تأمن ، وأنه ليس من خطر على نفوذ الشركة فى أوغندا ، اذ كانت البلاد — فى عام ١٨٩٠ — بركانا يهدد بالانفجار ، حيث بلغ الصراع الدينى أشده ، فالبرتستانت يتآمرون ضد الكاثوليك ، ويعمل الفريقان من أجل القضاء

على النفوذ الاسلامى فى البلاد ، بينما يتأهب المسلمون للانقضاض على النفوذ الاوربى المسيحى واقصائه عن البلاد والسيطرة عليها واقامة دولة مسلمة فيها .

وفى هذا الخضم من المشاكل والمؤامرات انتدبت شركة شرق افريقيا البريطانية فردريك لوجارد ليعالج هذا الوضع ، وليعمل على تأمين مركز الشركة ونفوذها وايجاد وضع مستقر لمصلحة بريطانيا والفريق البرتستانتى ، وذلك بالضغط على الملك موانجا ـ ملك بوجندا ـ بغرض الحصول على السيطرة والاشراف على كل الشئون المتعلقة بالبلاد .

وصل لوجارد الى أوغندا فى أغسطس ١٨٩٠ ، وفى ٢٦ ديسمبر من نفس العام استطاع لوجارد أن يعقد معاهدة مع موانجا ، أقر فيها الاخير بسيادة الشركة التى يمثلها لوجارد ، وبوضع بلاده تحت حمايتها .

الا أن تلك المعاهدة كانت ستصبح حبرا على ورق مالم يعزز نفوذ الشركة بقوة حربية نظامية تقف دليلا على وجود الشركة البريطانية وسيادتها ، وقد فطنت الشركة لذلك ورأت أن تخلق لها قوة حربية وذلك بتجنيد بعض السودانيين المقيمين فى مصر وتدريبهم على الاعمال العسكرية ثم ارسالهم لأوغندا وعهدت بهذه المهمة لأحد موظفيها ـ ويدعى وليمز ـ الذى جند حوالى خمسة وسبعين سودانيا، ثم قام بتدريبهم واحضارهم معه لأوغندا ، ولكن هذا العدد لم يكن كافيا ، ورأى لوجارد أنه اذا استطاع أن يلحق بخدمة الشركة بقايا عساكر الحكومة العثمانية تحت امرة سليم بك مطر والذين يقيمون فى كفاللى فان ذلك سوف يمكن الشركة من السيطرة على بوجندا وبونيورو .

ولم تكن فكرة استخدام الجنود السودانيين المقيمين فى المديرية الاستوائية من بنات أفكار لوجارد ، اذ أن الفكرة قد راودت ماكينون ـ الذى صار فيما بعد رئيسا لشركة افريقيا الشرقية البريطانية ـ وكان يدعو لها منذ نوفمبر ١٨٨٦ حين تقدم بمشروع يرمى الى انشاء مستعمرة بريطانية تجارية فى أواسط افريقيا ، واقترح الافادة من خبرة العساكر السودانيين فى الاستوائية لوضع الاساس لتلك المستعمرة التجارية المقترحة (٤) .

---

٤ ـ J.R. Gray, *A History of the Southern Sudan*, 1839—1889 (London, 1961), PP. 200—201.

بذل لوجارد جهدا عظيما فى البحث عن هؤلاء الجنود ، وعندما وصل اليهم فى كفالللى تمت المواجهة بينه وبين قائدهم سليم مطر فى ١١ سبتمبر ١٨٩١ ، وفى هذا اللقاء دار حديث صريح وطويل بينهما أكد فيه سليم أنه وجنوده لايزالون على ولائهم للخديوى ، وأنهم لن يتزحزحوا عن ذلك قيد أنملة ، وقال مخاطبا لوجارد: « إن شعر رأسى قد أبيض وشاب فى خدمة خديوينا ، ولايمكننى أن أتخلى الآن عن الولاء للعلم الذى خاطرت بحياتى فداء له مئات المرات .. فاذالم تصلنى موافقة صريحة من الخديوى للعمل معك فانى لا أستطيع الرضا بخدمة أى علم آخر غير علم مصر »(٥).

ولم يخف لوجارد اعجابه الشديد باولئك الجنود ، وتطرفهم فى الاخلاص لعلم مصر والولاء لحاكمها ، على الرغم مما أحاط بهم ـ لعدة سنوات ـ من صعاب ، ومالاقوه من شظف فى العيش ، وحياة قاسية مؤلمة ، ولما تبين له ثباتهم واصرارهم على ولائهم للخديوى ومصر ذكر لهم أن مصر وانجلترا حليفتان وصديقتان ، الأمر الذى جعله يزين صدره بنجمة الخديوى ، وبعد حوار طويل قبل سليم ـ من حيث المبدأ ـ أن ينخرط وجنوده فى سلك خدمة الشركة ، وقد طمأنه لوجارد أن انخراطه هذا سوف يرضى الخديوى ، ووعد لوجارد أن يكتب للخديوى بهذا ، كما قبل لوجارد أن تستمر الفرقة فى رفع العلم المصرى ، وأن تبقى تحت قيادة ضباطها السودانيين على أن يكون لوجارد الضابط البريطانى الوحيد الذى تتلقى منه الفرقة الأوامر ، وفى حالة قبول الشركة استخدامهم واجابة الخديوى بالموافقة ، فان الجنود السودانيين سوف يتسلمون تعويضا على خدماتهم السابقة للخديوى ، ويتقاضون نفس الأجور التى كانوا يتقاضونها من الحكومة العثمانية . وعقدت اتفاقية بهذا المعنى بين لوجارد وسليم فى ١١ سبتمبر ١٨٩١ دخل بمقتضاها سليم ورجاله فى خدمة الشركة البريطانية لشرق افريقيا .

ما الذى دفع لوجارد لأن يصر على تجنيد مجموعة من الجنود السودانيين لم تتحمل أى عبء من القتال لعدة سنوات ؟

ان حالة الفوضى التى كانت تعانى منها أوغندا حتمت عليه أن يسلك هذا السبيل ، فقد كان لوجارد ممثلا للشركة البريطانية الملكية لشرق افريقيا ، وكان يعمل جاهدا من أجل احلال السلام بين الطوائف الدينية

---

٥ ـ Captain F.D. Lugard, *The Rise of Our East African Empire* (London, 1893), Vol. II, PP. 210—211; Margery Perham, *Lugard, The Years of Adventure*, 1858—1898 (London, 1956), P. 277;

الدكتور جميل عبيد : المديرية الاستوائية ، ص ٢١٦

المختلفة فى ذلك القطر : البرتستانت،الكاثوليك ، والمسلمين . فقد كان فى حوزة كل من هؤلاء قوة عسكريـــة تفوق تلك التى كانت فى يد لوجارد ، أضف الى هذا أن لوجارد كان يطمع فى مد نفوذ الشركة وســـلطانها الى الغرب ، لاعتقـــاده أن تلك المنطقـــة الغربية منطقة تجارية تزخر بكميات وافرة من العاج ، وكان لوجارد قـــد وصل كمبالا وبصحبته قوة عسكرية صغيرة مكونة من خمسين جنديـــا سودانيا وخمسين صوماليا ، ثـــم لحق به الكابتن وليمز ترافقه قـــوة أخرى مكونة من مائة من السواحليين وخمسة وسبعين من الســـودانيين الذين جندهم ودربهم فى مصر ، ولكن هذه القوة جميعها كانت غير كافيـــة لتأمين وتوطيد سلـــطة الشركة ، ولاخضاع كابريجا ـ ملك بونيورو ـ الذى عرف بعدائه الشـــديد للشركة وللبريطانيين ، وكـــان الخطر يكمن فى قيام تحالف بين كابريجا وطائفـــة المسلمين فى بوجندا ، أو بين كابريجا وقوات الدولة المهدية الى الشمال من أجل أقصاء النفـــوذ البريطانى عن أوغندا .

كل هذه الاعتبارات كانت تقلق تفكير لوجارد ، وجعلته يؤمن بضرورة ايجاد قوة عسكرية كبـــيرة ، ولهذا اتجه لوجارد نحو تجنيد الجنـــود السودانيين المرابطين فى كفاللى ، فهم يمثلون القوة العسكرية المدربـــة الوحيدة التى على مقربة من لوجارد وفى هذا يقول سير هارى جونستون: « ان لوجارد هو الذى جلب القوات السودانية الى أوغندا ، وكان يتعذر فى ذلك العصر أن يلجـأ لوجارد الى وسيلة أخرى ، اذا أراد أن يوطـــد السلام بين الطوائف المتنازعة ويوطد سيطرة بريطانيا ولم يخطر على البال فى ذلك الوقت ارســـال جنود مـــن الهنود الى أوغندا . وكان يستحيل أيضا ضم جنود آخرين مدربـــين قادرين على احتمـــال الجو ، بعيدين عن كل نفوذ فى أوغندا » (٦) .

وقد فات على ســـير هارى جونستون ان يذكر اعجـــاب لوجارد الشديد بالعساكر السودانيين ممـــاحدا به الى أن يصفهم بأنهم يمثلون أحسن العناصر التى تصلح للخدمـــة العسكرية فى افريقيا (٧) ، فقد اختبر الضباط الانجليز العســـاكر السودانيين فى مصر فوجدوهم يتميزون بالشجاعة والاخـــلاص والولاء العســـكرى لرؤسائهم ، كما أن لوجارد قد أدرك أن استخدام السودانيين لن يحمـــل الشركة أعباء مالية كبيرة ، لأن الأجور

---

٦ - H. Johnston, *The Uganda Protectorate* (London, 1902), Vol. I, P. 237.

٧ - Captain F.D. Lugard, op.cit., Vol. II, p. 134
J.A. Meldon, Notes on the Sudanese in Uganda, *Journal of the African Society,* Vol. VII, No. XXVI, Jan. 1908

التى ربما دفعت للسودانيين تقل كثيراعن الأجور التى تدفععادة للسواحليين أو الهنود أو الصوماليين ، فقد أوردلوجارد أن استخدام أى من هـؤلاء سوف يكلف سبعة أضعاف مايكلفهالسودانيون . كما أن لوجـــارد ومساعديه كانوا فى أشـــد الحاجةللسودانيين بســـبب ارتباطهم باعادة الجنود السواحلية الذين استأجرتهم الشركة من الســـاحل الشرقى على شريطة اعادتهم للساحل فور وصول لوجارد ومساعديه الى مركز عملياتهم فى وسط افريقيا .

بدا العســـاكر السودانيـــون ومعهم نســـاؤهم واطفالهم فى الزحف نحو كمبالا ، وكانوا يبلغون ٩٣٣ رجلا مسلحا ، و ١١٥٣ رجلا غير مســـلح، و٣٠٦٥ أمرأة ، و١٤٩٠ ولدا ، و١٣٦٦ بنتا . وكانت هذه الكتلة البشرية المتحركة خليطا ، إذ أن الكثيرين منهم ينتمون الى قبائل شـــمالية ، ولكن العنصر الجنوبى كان هو الغالب ، فمن المؤكد أن معظم النساء والرجال كانوا من أصل جنـــوبى ولكن اذا اختلفت قبائلهم وأصـــلهم فان لهم فى الثقافة الاسلامية العربية التى طبعتهم بكل خصائصها ومميزاتها من لغة ، ودين ، وعـــادات وطبائع وشمـــائل ماوحد بينهم وجعل منهم مجتمعا متماسكا .

(٣)

زحف لوجـــارد بالعســـاكر السودانيين من كفالى متجها نحـــو كمبالا ، وفى أثناء سيره قام بتأسيس سلسلة من القلاع على طول الحدود الجنوبيـــة لمملكة بونيـــورو بغرض الدفاع عن اهالى تورو وحمايتهم من كابريجا ، وهى قلاع : وافرتى ، لورن ، كنارى ، تنارا ، وجرانت ، وفى كـــل منها أنزل قوة من الجنود السودانيين لتقيم فيها بغرض حمايتها والدفـــاع عن ماجاورها من أراضى .

وبفضل الجنود الســـودانيين المقيمين فى تلك الحصـــون استطاع لوجارد أن يسيطر على مملكة تورو ، وكانت مهمتهم عسكرية دفاعية بحتة، فلم يترك لهم لوجارد مجالا للتصرف فى الامور المدنية والسياسية ، حيث عين فى كل قلعة شخصا ليمثل سلطة ملك تورو وبيده كل السلطات المدنية، وعليه ـ أيضا ـ أن يعد تقارير عـــن مسلك الجنود السودانيين ويبعث بها الى لوجارد . وقد برهنت تلك القلاع على فعاليتها عسكريا واستراتيجيـــا فقد تمكن الجنود السودانيون مـــن أن يصدوا هجمات كابريجا المتعددة. وأن يجعلوا الشركة البريطانية سيدة الموقف فى تورو .

كان لوجارد يخشى على الســـكان المحليين من بطش العساكر السودانيين، فهو يدرك جيدا الخطر الناجم عـــن وضع عساكر مسلحين مدربين وسط أناس عزل ، ولهذا فقد اتخذ كـــل الاحتياطات اللازمة ليحـــول دون اختلاط العساكر بالاهالى ، فاحتفظ فى كل قلعة بسجل دون فيه أســـماء

الجنود السودانيين وما يتبع كل منهم من زوجات وأطفال ورقيق ، وظن أنه بذلك قد قفل الطريق أمام محاولات العساكر السودانيين لضم أفراد من السكان المحليين الى حاشيتهم ، بل حذر أن كل من يقوم بعمل كهذا سيكون عقابه صارما ورادعا ، ويقينى أن كل اجراءاته هذه لم تمنع الاختلاط بين السودانيين فى قلاعهم وبين الاهالى فى قراهم ، بل ان هذا الاختلاط أدى الى التصاهر بين الفريقين .

(٤)

وعندما وصل لوجارد الى كمبالا ـ فى ٣١ ديسمبر ١٨٩١ ـ ومعه فرقة من الجنود السودانيين بقيادة سليم مطر وجد أن الوضع هناك يهدد بالانفجار لشدة التوتر القائم بين الطوائف الدينية . فان طائفة المسلمين تحاول جهدها أن تضع زعيمها امبوجو على كرسى العرش فى بوجندا ، وتم الاتفاق بينهم وبين كابريجا على العمل سويا ، ويمثل هذا التحالف خطرا عظيما للوجارد ولسلطة الشركة ، وظهر للوجارد أن الخطر سيكون أعظم اذا صحت تلك الشائعات التى انتشرت فى المدينة والتى تقول أن السودانيين ـ الذين وصلوا حديثا ـ سينضمون لهذا التحالف ، فقد ذكر لوجارد أنه قد وصلته معلومات أن المسلمين الباجندا حاولوا أن يستميلوا العساكر السودانيين بدعوى وحدة الدين ، ولكن سليما لم يتجاوب معهم (٨) ، وفشلت خطة ضم العساكر السودانيين للتحالف . بل أن لوجارد استغل سليما بجعله واسطة بينه وبين المسلمين الباجندا فى المفاوضات التى كانت دائرة بينهما ، فأرسله للتباحث مع امبوجو ، واجتمع سليم بالزعيم الدينى واقنعه بقبول شروط لوجارد التى يتم بمقتضاها المصالحة ، وسار امبوجو مع اتباعه حتى وصلوا منجو حيث وقع زعماء المسلمين على المعاهدة المعقودة بين الملك موانجا والشركة ، وبذلك أمن لوجارد موقف الشركة فى بوجندا ، وتأكد للوجارد أثر الجنود السودانيين وفعاليتهم فان الخوف من هذه القوة العسكرية الجديدة التى ظهرت على مسرح السياسة البوجندية حطم التحالف بين المسلمين وكابريجا ، كما أن السودانيين استطاعوا أن يهزموا قوات كابريجا بعد أن حاولت الهجوم عليهم فى مارس ١٨٩٢ وهكذا لعب العساكر السودانيون الدور الاول والفعال فى حسم الموقف لصالح الشركة الامر الذى انتهى بسيطرة بريطانيا على أوغندا .

---

٨ ـ Captain F.D. Lugard, op.cit., Vol. II, P. 381.

٩ ـ Bishop A.R. Tucker, *Toro : Visits to the Ruwenzari* (London, 1899).

وعلى الرغم من كل هذا فقد تعرض الجنود السودانيون لحملة نقد قادها الاوربيون المقيمون فى أوغندا عامة والمبشرون منهم خاصة حيث انتقد المبشرون فكرة استجلاب العساكر السودانيين ، وصبوا جام غضبهم على لوجارد لوضعه تلك الفكرة موضع التنفيذ وللتمكين للجنود السودانيين المسلمين فى أوغندا ، بدعوى أنهم اعداء للمسيحية ويشكلون خطرا يحول دون انتشارها فى أوغندا . قال عنهم الاسقف تكر أنهم يمثلون عقبة كبيرة فى سبيل انتشار المسيحية فى تلك الجهات ، وانهم يأتون افعالا من شأنها أن تؤثر على انتشار المسيحية وأن تفزع المسيحيين كاحراق الانجيل وتشتيت لقاءات المسيحيين التى تجتمع من أجل قراءة الانجيل (٩) .

وتعرض السودانيون لهجوم أعنف من المبشر الانجليزى آش ، الذى ساءه أن يرى ان القوة المحاربة الوحيدة فى أوغندا تتكون من المسلمين السودانيين ، فكتب محتجا: « ان استجلاب عدد كبير من المسلمين المتعصبين الى أوغندا لعمل جد خطير ، اذ أن هناك خطر من أن ينشأ اتحاد بين هؤلاء الجنود المسلمين وبين المسلمين الباجندا ضد الاهالى المسيحيين والأوربيين » (١٠) . واستطرد يقول انه هناك حقيقة أخرى لايجب اغفالها ، وهو انه ربما تقدمت جيوش المهدية من الشمال نحو أوغندا ، ومالم تنشأ قوة كبيرة وفعالة تستطيع صد هذا الهجوم الشمالى فان الانصار سيمحون كل أثار المسيحية والحضارة فى أوغندا. وجزم هذا المبشر أنه كان هناك اتفاق بين العساكر السودانيين وبين المسلمين الباجندا فى سنتى ١٨٩١ ـ ١٨٩٢ وذلك بدليل أن العساكر السودانيين أغفلوا أوامر لوجارد آنذاك التى تدعوهم لقتال المسلمين الباجندا (١١) .

وتناول المبشرون العساكر السودانيين بالنقد من وجهة أخرى ، فقد أدعى الاولون ان الاخيرين قد عاثوا فى الأرض فسادا ، حيث كانوا يغيرون على الأهالى العزل ، فيسرقون وينهبون ويسترقون . وفى هذا يقول آش : « ان الفظائع والمآسى التى جلبها السودانيون على أهالى تورو وبونيورو تعتبر من الصفحات السوداء فى كتاب قصة افريقية » (١٢) .

وهذه التهمة لم يوردها المبشرون وحدهم ، اذ أن ماكدونالد ـ الذى كان آنذاك يقود حملة مسح طريق السكة الحديد المزمع انشاؤها

١٠ ـ R.P. Ashe, *Chronicles of Uganda* (London, 1894), P. 180.
١١ ـ Ibid., P. 324.
١٢ ـ Ibid.

من الساحل الى الداخل ـ ذكر أن السودانيين أحدثوا خرابا وفوضى فى كثير من الاماكن وخاصة فى جنوب بونيورو (١٣) .

ولا ريب ان هذه التهمة تفتقر الى البرهان والدليل ، اذ أن المستر فيرلى الاستاذ بكلية ماكريرى الجامعية بأوغندا حاول أن يستوثق من صحتها ، فاتصل بعدد من الباتورو الكبار يسألهم ان كانت رواياتهم الوطنية تشير الى أى فظائع أو خراب أو فوضى أو قسوة قام بها السودانيون ، ولكنهم أجابوا بالنفى، وذكروا أن اهالى تورو لايحملون أى حقد أو ضغينة للسودانيين(١٤) . وحتى اذا افترضنا صحة هذه التهمة الأخيرة فان لها مايبررها ، فقد أحضر لوجارد الجنود السودانيين ، واستخدمهم لتوطيد سلطة الشركة البريطانية ، ومع ذلك لم يستطع أن يوفر لهم حتى حاجياتهم الضرورية من طعام وكساء ، وفى هذه الحالة لابد أن تدفع الحاجة بعضهم للنهب والسلب ، وقد اعترف لوجارد نفسه بانه قد سمح لهم بالاغارة على مملكة بونيورو بدعوى انها معادية للنفوذ البريطانى .

وفى رأيى ان الذين انتقدوا لوجارد لجلبه السودانيين ، وادانوا مسلك العساكر السودانيين كان دافعهم الاساسى الخوف من هؤلاء الجنود المسلمين المدربين . فاننا نرى ـ بعد عام ١٨٨٤ ـ أن الضغط الأوربى على العرب والمسلمين فى أواسط وشرق افريقيا قد اشتد ، وقد فطن الاخيرون لذلك اخيرا ، وادركوا أن الأوربيين لهم مطامع فى تلك المنطقة التى كانت من مناطق نفوذ العرب ، وبذلك تغير شعور ومسلك العرب والمسلمين نحو الأوربيين ، فناصبوهم العداء وحاولوا أن يمنعوا التغلغل الاوربى فى أواسط وشرق افريقيا . ونشأ التنافس والصراع ـ الذى كان دمويا فى بعض الاحيان ـ بين العرب والمسلمين من ناحية وبين الأوربيين من الناحية الأخرى ، فى الكونغو ، وحول بحيرة نياسا ، وفى أوغندا . وكان الاوربيون يخشون أن يحدث تحالف بين قوى العرب المتفرقة فى تلك الأنحاء من أجل وقف التغلغل الأوربى ، وظهر لهم أن الفرقة السودانية المرابطة فى أوغندا ربما لعبت دورا هاما فى انجاح هذا التحالف ، فانها يمكن أن تمثل دور واسطة العقد بين الأنصار فى السودان

---

١٣ ـ J.R.L. MaCdonald : *Soldierying and Surverying in British East Africa*, 1891—1894 (London, 1897), P. 174.

١٤ ـ O.W. Furley : *The Sudanese in Uganda; From Lugards' Enlistment to the Mutiny*, 1891—97. Paper read at a conference of the East African Institute of Social Research held at Makerere College, Jan. 1959, P. 12.

وبين العرب فى أواسط وشرق افريقيا . وهذا مادفع بالمبشرين لشن حملة على الجنود السودانيين، وماجعلهم يشيرون الى خطورة اعتماد النفوذ البريطانى البرتستانتى فى أوغندا على قوة سودانية مسلمة .

(٦)

وثمة مايبرر هذه المخاوف ، فقد غادر لوجارد أوغندا عائدا الى بريطانيا فى يونيو ١٨٩٤ ، وبعد مغادرته ظهر السخط وسط المسلمين الباجندا ، كان المسلمون يطالبون بالنظر فى الاتفاقية التى عقدها لوجارد معهم ، ونادوا بضم مقاطعة أخرى لهم ، وساندهم سليم بك مطر ـ قائد القوات السودانية فى بورت الس ـ تأييدا مطلقا فى مطالبهم ، بل ذهب سليم الى أبعد من هذا فحذر ماكدونالد ـ المندوب السامى بالانابة ـ أنه سوف يعتبر الحرب ضد المسلمين الباجندا عملا عدائيا ، وأنه اذا اعلن البرتستانت فى بوجندا حربا ضد المسلمين فانه سوف يقوم بمساعدة المسلمين ، ثم قام برفع علم المسلمين ، ووزع جنوده على الطريق المؤدى الى كمبالا .

وبهذا جابه ماكدونالد موقفا حرجا ، ولكنه بادر باتخاذ عمل سريع ، اذ دعا الضباط السودانيين وأمرهم بان يقسموا الولاء لملكة بريطانيا ، ولكنهم رفضوا ، وهنا استدعى ماكدونالد الفرقة السواحلية المرابطة فى بورت الس ، وبمساعدة هذه القوة تمكن من تجريد العساكر السودانيين فى كمبالا من أسلحتهم ، ثم هرع الى بورت ألس وبصحبته قوات من الباجندا والسواحليين ، وهناك قام بتجريد الجنود السودانيين الموجودين ، والقى القبض على سليم مطر ، وقدمه لمحكمة عسكرية فأدانته بتهمة التمرد ثم حكمت بابعاده الى الساحل ولكنه مات فى الطريق .

ولاشك أن موت سليم كان ضربة قاصمة على الجنود السودانيين، فقد فقدوا الرجل القوى والقائد العسكرى الذى التفوا حوله . وسهل اختفاؤه من المسرح مهمة تنظيم وتدريب العساكر السودانيين ووضعهم تحت قيادة بريطانية مدربة ، ثم استخدامهم بصورة جدية وفعالة لتوطيد السلطة البريطانية فى أوغندا . وقام بكل هذا العمل هنرى كولفيل ، فقد قامت الحكومة البريطانية بارسال كولفيل لادارة المحمية فى أوغندا ، واختير لهذه المهمة لمعرفته باللغة العربية الأمر الذى سيمكنه من السيطرة على الجنود السودانيين وقيادتهم قيادة فعالة ، وعمل كولفيل على تنظيم الجنود ، ثم بعد هذا قام باستخدامهم واستغلالهم اكثر مما فعل لوجارد ، وتجاوب العساكر السودانيون معه فاظهروا اخلاصا وولاء لرؤسائهم البريطانيين فى وقت كان فيه

الاخيرون أحـــوج مايكونون لهـــذا الخضوع والوفاء لأن الأعداء يحيطون بهم من كل جانب .

أدخل العساكر السودانيـــون الرعب والفزع فى نفوس أعداء النفوذ البريطانى . فقد قررت الحكومـــة البريطانية فى ١٨ يونيو ١٨٩٤ بسط حمايتها على أوغندا ، ولكن اعـلان هذه الحماية وجد معارضة شديـدة من عناصر عدة فى أوغندا وفى مقدمتها المسلمون وكابريجا . قاد كولفيـــل الجنود السودانيين لمحاربة المسلمين فى بوجندا فهزموهم فى يوليو ١٨٩٤ . ووقع عبء اخضاع كابريجا على عاتق الجنود السودانيين . وهكذا تميزت السنوات ١٨٩٣ ــ ١٨٩٥ بحمـلات عنيفة قامت بها القوات السودانيـة بقيادة ضابطها البريطانى ــ أوين ــ لاخضاع كابريجا ، وطاردته فى كـل مكان حتى تمت هزيمتـه ووضـــع بونيورو تحت الحماية البريطانية فى يناير ١٨٩٥ .

وفى سـنوات ١٨٩٥ ــ ١٨٩٧ شنت القوات السودانية حملات ضد قبائل النانذى التى رفضت الخضوع للنفـوذ البريطانى ، وأوقعت بها شر الهزائم .

اما فى عام ١٨٩٧ فقـــد كان الجنود السودانيون فى حركة دائبـة ودائمة ، يقاتلون هنـــا وهناك ، ويزحفون مـن مكان لآخـر . قادهم الكابتن ستول ليصد هجمات المتمردين الكونغوليين على مملكة تورو ، ثـــم ساروا مائتين وخمسـين ميـــلا الى شمال بحيرة فكتـــوريا لاخمـــاد الاضطرابات فى كافروندو ، وقفلوا راجعين حوالى ثلثمائة ميل ليقاتـلوا موانجا فى بودو ، فقد ثار موانجـا ، وجمع قواتـه فى ذلك المكـان ، ولكن القوات السودانية اســـتطاعت أن تهزمه وأن ترغمه على الهروب .

وهكذا أظهر الجنـود السودانيون ــ فى السنوات ١٨٩٣ ــ ١٨٩٧ ــ مقدرة فائقة على القتال ، وانتصروا فى كل المعارك التى خاضوها ، وبذلك شتتوا شمل أعداء النفوذ البريطانى ومكنوا لهذا النفوذ من السيطرة على كل أجزاء أوغندا . وأثلجت اعمالهم ووفاؤهم صدر كولفيل فأشاد بهم ، وسعى سعيا ليقنع الحكومة البريطانية بضـــم العساكر الســـودانيين الى صفوف قوات الملكة المحاربة ، وكان يريد أن يطلـــق عليهم لقب « آلاى وسط أفريقيـــا الاول » ، ودارت المناقشات فى لندن من أجـل ذلك ، ولكنها فشـلت . ولكن الحكومـــة البريطانية اعترفت فى سبتمبر ١٨٩٥ بوجود القوة السودانية فى أوغنـدا كقوة محاربة مهمتها المحافظـــة على الحدود والدفاع عن البلاد .

حاول كوفيـل جهـده ليعزز الفرقة السودانية بتجنيد عدد آخر من السودانيين ، واستطاع أن يتصل بحوالى مائتى جندى من بقايا جنود

فضل المولى كانوا يقيمون فى الشاطىء الغربى من بحيرة البرت وقاد احد الضباط البريطانيين هؤلاء الجنود وعائلاتهم الى كمبالا . وقد استطاع كولفيل فى فترة ادارته أن يجند حوالى أربعمائة جندى سودانى .

بعد أن كسر العساكر السودانيون شوكة ثورة موانجا بقيت الكتائب السودانية ، الاولى والثانية والسابعة وبعض الجنود من الكتائب الثالثة والرابعة فى بودو ، وكان افراد هذه الكتائب من أمهر وأبرع وأشجع العساكر ، ولهذا لم يطب لهم المقام طويلا ولم يذوقوا طعم الراحة فى بودو حتى وصلتهم التعليمات بالاستعداد ليصحبوا ماكدونالد فى حملة هدفها الزحف الى الخرطوم من الجنوب ، وذلك لكى يحبطوا محاولات الفرنسيين التى تهدف للزحف نحو الخرطوم من الغرب .

ولم يكن العساكر السودانيون فى حالة أو مزاج يسمحان لهما بمرافقة ماكدونالد فى رحلته الشاقة تلك ، ولذلك قرروا الا يرافقوا الحملة ، وأن يشرحوا للمسئولين الأسباب التى دعتهم لاتخاذ هذا القرار ، بل ان سخطهم اشتد عندما اكد لهم ماكدونالد أنه لن يسمح لاى جندى منهم باصطحاب أكثر من امرأة أو ولد معه ، وذلك حتى لايعوق سير الحملة جيش جرار من الاتباع ، ويعتقد بعض المعاصرين أن هذا القرار الاخير قد ادى الى بذر بذور العصيان والتمرد .

وتظلم العساكر من القرار وأشاروا الى تظلماتهم الأخرى ، ثم رجوا ماكدونالد أن يعفيهم من السير مع حملته ، ولكنه أخبرهم انه يجب تنفيذ الأمر . ولهذا تمرد الجنود السودانيون فى ٢٣ سبتمبر ١٨٩٧ ، ساروا نحو قلعة الرافن حيث وجدوا جاكسون ـ المندوب السامى بالانابة ـ وشرحوا له مظالمهم التى تتلخص فى قلة الاجر ، وعلى الرغم من قلته فان دفعه كان متأخرا لعدة شهور ، والارهاق الشديد الذى عانوه بسبب الحركة المستمرة والقتال الدائم فى السنوات الأخيرة . ولم يستطع جاكسون اقناعهم بتغيير رأيهم ، ثم واصلوا سيرهم نحو بوجندا ، دخلوا كافروندو ، وعندئذ تملك الذعر المسئولين البريطانيين ، وخشوا أن يصل الجنود السودانيون الى بودو فينضموا الى أنصار الملك موانجا ، وفى ١٨ اكتوبر وصل الثوار الى قلعة لوبا وهى ملتقى الطريق بين بوسوقو وبوجندا ، وفى المكان الاخير انضم اليهم العساكر السودانيون الذين كانوا يحرسون تلك القلعة ، واستولى الجنود الثائرون على القلعة ثم قتلوا ثلاثة من البريطانيين هناك . وبقى الثوار فى لوبا لمدة شهرين بينما كانت قوات هندية فى طريقها الى أوغندا لكسر شوكة التمرد .

وقبل أن تصل النجدة من القوات الهندية ، بدأت العناصر التى تعارض وتقاوم النفوذ البريطانى فى أوغندا تفكر فى تجميع قواها لكى

تنقض على الاسد البريطانى فتفتك به ، ولكن هذا التفكير لم يتمخض عنه عمل موحد ، فقد كانت هذه العناصر تفتقر الى القيادة الرشيدة، ويعوزها التخطيط السليم .

أخلى الثوار حصن لوبا فى ٩ يناير ١٨٩٨ ويمموا شطر بوجندا ، وما أن وافى يوم ١٦ يناير حتى كانوا على مقربة من كمبالا، وفى هذه اللحظة غير الجنود السودانيون رأيهم ولم يحتلوا كمبالا وانما ساروا فى اتجاه بونيورو ، فخشيت السلطات البريطانية أن تنضم القوات المرابطة فى بونيورو للقوات الثائرة وتزحف جميع هذه القوات نحو كمبالا ، بل وقد يتحالف الثوار السودانيون مع كابريجا ، ولكن السلطات البريطانية استطاعت أن تجرد الجنود السودانيين فى بونيورو من أسلحتهم قبل أن تصلهم أخبار ثورة زملائهم ، أما القوات السودانية المرابطة فى تورو فقد بقيت على ولائها لضباطها البريطانيين .

واخيرا اشتبكت القوات السودانية الثائرة مع القوات الهندية والمحلية التى جمعها البريطانيون من أجل القضاء على ثورة السودانيين . وفى ٢٤ فبراير ١٨٩٨ وفى برولى على حافة بحيرة لوقا هزم الجنود السودانيون الثائرون ، وتشتت شملهم ، وبقيت القوات الهندية تتابعهم لمدة ثلاثة أشهر حتى قضت على ثورتهم قضاء تاما .

لم تكن هذه الثورة عامة بين جميع الجنود السودانيين فى أوغندا، فقد بدأتها الكتائب الاولى والثانية والسابعة وأفراد من الكتائب الثالثة والرابعة ، وكان عدد جميع الجنود الثائرين حوالى خمسمائة جندى ، بينما كان عدد العساكر السودانيين فى أوغندا يقارب الألف وستمائة جندى ، ولم يشترك جميع العساكر فى هذه الثورة لبعد المسافات بين الحاميات ولأن السلطات البريطانية تمكنت من تجريد بعض الحاميات من اسلحتها قبل أن تصلها اخبار الثورة .

وبعد أخماد الثورة أبعد كل المتمردين الى الساحل ، وحل محلهم عساكر من الهنود أو الوطنيين ، وعندما انشأت قوة دفاع أوغندا فى عام ١٨٩٨ كان معظم أعضائها من الوطنيين والهنود، ولكنها استوعبت بعض الجنود السودانيين الذين بقوا على ولائهم لبريطانيا فى عام ١٨٩٧ ، وبهذا وضعت ثورة ١٨٩٧ حدا لنفوذ الجندى السودانى فى أوغندا ، فلم تعد القوة الوحيدة المحاربة المنوط بها الدفاع عن أوغندا تتكون اغلبيتها من السودانيين . واتجهت اغلبية السودانيين فى أوغندا الى ميدان الحياة المدنية العامة ، واستوطنت اغلبيتهم فى مقاطعات زراعية كبيرة كانت لهم فيها السيطرة ، كان أكبرها تلك التى فى بومبا وهويما وعنتبه ، ومازال العنصر السودانى يغلب فى تلك الاماكن .

(٧)

لابد لنا من الوقوف لحظة لنلقى نظرة عجلى على الأسباب والدوافع التى حدت بالعساكر السودانيين للثورة . يعتقد كثير من المؤرخين والكتاب المعاصرين ان للجنود السودانيين مظالم خاصة هى التى دفعتهم للتمرد . وأول هذه المظالم انهم لايتقاضون أجورا مناسبة ، وأن هذه كانت قليلة بالنسبة لما يؤدونه من خدمات ، فان الفرد منهم يتقاضى مرتبا مقداره سبعة (شلنات) فى الشهر (١٥) ، وهذا المبلغ يقل كثيرا عما يتقاضاه الجنود الآخرون فى شرق افريقيا ، ويقل عن الأجور التى يتقاضاها الجنود السودانيون فى خدمة الألمان . بل أنه أقل من مرتبات الحمالين السواحليين الذين يستأجرهم الأوربيون فى الساحل لحمل أمتعتهم فى رحلاتهم الى الداخل . وحتى هذه الاجور الضئيلة كانت لاتدفع بانتظام ، فعندما ثار الجنود كانت مرتباتهم متأخرة ستة شهور .

وعلى الرغم من قلة المرتبات وعجز السلطات البريطانية عن دفعها فى حينها كانت الأخيرة ترهقهم بالعمل المتواصل والقتال المستمر وخاصة فى سنتى ١٨٩٧ ــ ١٨٩٨ ، حيث أرسلوا فى حملات مستمرة جابت البلاد من ادناها الى اقصاها سيرا على الاقدام . وهذا يعنى بعدهم عن زوجاتهم واطفالهم الشىء الذى لم يعتادوا عليه من قبل .

يأتى بعد هذا مسلك ضباطهم البريطانيين نحوهم . كان ضباطهم البريطانيون معرضين للنقل بين الفينة ولأخرى ، فما أن يصلهم أحد الضباط ويبدأ فى تفهم مشاكلهم ومزاجهم ولغتهم حتى يفاجأ بالنقل ، والكثيرون من الضباط لايتحدثون العربية ، بل ان بعضهم أظهروا ازدراء وغلظة نحو جنودهم السودانيين ، وأحد هؤلاء ماكدونالد الذى تسبب فى قيام الثورة ، فان الجنود السودانيين لم ينسوا لهذا الضابط المعاملة السيئة التى لقيها على يده سليم بك مطر ، بل انهم كانوا يؤمنون ايمانا جازما أن هذا الضابط انما يريد القضاء عليهم ، وهذا مادعاه الى أن يمنعهم من اصطحاب زوجاتهم معهم فى الحملة التى سيقودها الى جنوب السودان ، وكانت العادة أن ترافقهم زوجاتهم أينما ساروا وذلك من أجل اطعامهم ومساعدتهم فى حمل اسلحتهم وممتلكاتهم الخاصة وحتى لايفتقدوا نساءهم ان طالت بهم فترة القتال .

وفى اعتقادى أن هذه الاسباب السالفة الذكر ــ والتى أوردها الكتاب المعاصرون والمؤرخون الأوربيون ــ لم تخرج عن كونها

---

١٥ ــ اى خمسة وثلاثون قرشا .

عوامل ثانوية فى اشعال الثورة ،بدليل ان الجنود السودانيين لم يعتادوا على الراحة والدعة والخلودالى السكينة ، وقد مرت بهم ـ عندما كانوا بالاستوائية ـ ظروف حرجة ، عاشوا حياة شظف ، ولم تتح لهم أخص أسباب الراحة من طعام وشراب وغيره ، ومكثوا فى تلك المديرية سنوات عدة دون أن يتقاضوا مرتبات .

وفى رأيى ان ثورتهم تلك كانت جزءا من الثورة العربية التى شنها العرب ضد التغلغل الاوربى فى شرق وأواسط افريقيا . فقد اشتد الصراع بين الفريقين فى تلك المنطقة فى الخمس عشرة سنة الاخيرة من القرن التاسع عشر . ثار العرب فى الكونغو على البلجيكيين فى عام ١٨٩٧ ، وفى نفس السنة حدثت اشتباكات دموية بين الانصار والبلجيكيين انتهت بهزيمة الاخيرين. واضطر العرب البلجيكيين الى الهروب الى منطقة النفوذ الالمانى . وكان الصراع محتدما بين العرب والالمان فى المنطقة حول بحيرة تنجانيقا ، ولانعدو الحقيقة ان قلنا ان العرب فى كل مكان فى شرق واواسط افريقيا عزموا أمرهم على وقف تيار التغلغل الأوربى فى تلك المنطقة .

ولاشك أن العساكر السودانيين قد تعاطفوا وتجاوبوا مع هذا العزم العربى، وكان لابد لهم من التحرك للانقضاض على النفوذ البريطانى فى أوغندا ، الذى ماكان ليكون له وجود لولا ما قام به هؤلاء الجنود ، وكانوا ينتظرون الفرصة المناسبة لذلك ، وقد كتب المستر ترنان ـ المندوب السامى بالانابة فى أوغندا فى عام ١٨٩٩ ـ فى هذا الصدد : « انه من الواضح أن الكتائب التى تمردت كان يقودها ضباط يتمتعون بالذكاء والنفوذ ، ولما رأوا بذكائهم هذا أن نفوذ البريطانيين فى أوغندا يعتمد على جودهم ومساندتهم ، توصلوا الى نتيجة انه باستطاعتهم أن يستولوا على المحمية ، ويطردوا منها الرجل الابيض ، وظلت هذه الفكرة تعتمل فى نفوسهم ، وكانوا ينتظرون الظروف المواتية وسنحت لهم الظروف بعد ثورة موانجا مباشرة التى كان من نتائجها ان انشق الواجندا » وفقد البريطانيون مساندة فريق منهم ، وهذا يعنى أن الكثيرين منهم لن يتدخلوا لصالح البريطانيين ، وأنهم سيرحبون بمحاولة السودانيين لانتزاع السلطة من البريطانيين (١٦) .

(٨)

بعد هذه المسيرة الطويلة مع فرق الجنود السودانيين التى هاجرت واستوطنت فى أوغندا ، يتحتم علينا أن نقف قليلا لنلقى

١٦ ـ R.W. Beachey, Macdonalds' Expedition and the Uganda Mutiny, 1897—98 *The Historical Journal*, X,2 (1967) P. 243.

نظرة على الاثر الذى تركته هجـــرة واستيطان هؤلاء الجنود فى أوغندا . فان اقامة قوم محاربين لهم مميزاتهم الخاصة من دين ولغة وثقافة وعادات وطبائع ــ فى بلـدما ــ لابد أن تترك أثرها الواضح فى ذلك القطر . فعلى امتداد الانحاء والحصون التى أقـام بها الجنود السودانيون الوافدون بدأ العساكر يختلطون ويندمجون مـــع السكان الوطنيين ، اذ لم تكن هناك حواجز اجتماعية تحول بينهم وبين ذلك .

وفى اغلب الاحيان تطور هـذا الاختـلاط الى درجة المصـاهرة بين العســـاكر السودانيـــين والنساء الوطنيات ، ومن خـلال هذا التلاقح ظهر جيـل جديد له كل مقومـــات وخصائص الشخصية السودانية من لغة ودين وثقافة وعـــادات ، اذ أن الجنود السودانيين لم يتخلوا عـــن لغتهم ودينهم وثقافتهم وعاداتهم (١٧) . ومن الطبعى أن يشب الابناء وتشب البنـــات عـلى لغـة الأبـاء ودينهـم وثقافتهم . ومما سهل هذه المهمـة أن النساء المحليـــات نبذن لغتهن وديانتهن عند الزواج من الجنـــود الســـودانيين لأنه مـن الطبـعى أن تتغلب ثقافـة متقـدمة على أخـرى بدائية .

وكان من أثر هذا الاختلاط والتزاوج أن تم عـلى أيدى السودانيين الوافدين اسلام « وسودنة » الذين كانوا على صلة واتصـال واختلاط بهم ، وبهذا لعب الجنود السودانيون دورا هاما فى بث وتقدم الاسـلام فى أوغندا فى القرن التاسع عشر . ومن المؤسف حقا أن هذا الموضوع لـــم يجد العناية الكافية بعد من المؤرخين ، وانه يحتـاج الى دراسـة تفصيلية وافية (١٨) ، لأن معظم المؤرخـــين يغفلون هذا الدور أو يقللون مـــن أهميته ، بدعوى أن الاسلام انتقـل الى أوغندا عن طريق ساحل افريقيا الشرقى حيث كان يفد عرب مسقط وعمـان وحضرموت وزنجبار وبمبـا الى أوغندا فينشرون تعاليم الاسلام . وفى اعتقادى أن الدور الذى اضطلع به الجنـــود الســـودانيون فى هـذا المضمار لايقـــل عن دور العـــرب

---

١٧ ــ انظر فى هذا الصدد مقالة :

J.A. Meldon, Notes on the Sudanese in Uganda, *Journal of the African Society*, Vol. VII, No. XXVI, Jan. 1908, pp. 123—146.

فالقارىء لتلك المقالة ــ التى كتبت فى عام ١٩٠٨ ــ يستخلص ان الجنودالسودانيين احتفظوا بكل خصائصهم وسماتهم وشمائلهم السودانية ، وهذا دليل واضح على ان اختلاطهم وتصاهرهم مع الســـكان المحليين لم يمح شخصيتهم السودانية .

١٨ ــ يقوم الاستاذ ابراهيم الزين صغيرون بدراسة موضوع الاسلام فى اوغندا ، وذلك فى محاولة لاحراز درجة الماجستير فى التاريخ من جامعة الخرطوم ، ومن المؤمل ان يلقى بحثه ــ الذى يعتبر الاول من نوعه ــ ضوءا على دور الجنـود السودانيين فى نشر الاسلام وتقدمه فى اوغندا .

الوافدين من الساحل ـ ان لم يفقه. فالتوزيع الجغرافى للمسلمين فى أوغندا لايترك مجالا للشك فى ذلك . فان الاسلام انتشر فى أصقاع عدة من أوغندا : فى منطقة الاشولى والمادى والوقبارا واللور وفى بونيورو وبوجندا وبصفة خاصة فى الاقليم الذى يقع جنوب الحدود السودانية الحالية وشمال بحيرة البرت ، ذلك الاقليم الذى يطلق عليه لقب اقليم « غرب النيل » . ففى هذه المنطقة نجد الاغلبية من السكان تدين بالاسلام ، بل ان اسلامهم يتسم بسمات « الاسلام السودانى » كاعتناقهم للمذهب المالكى ، ومن المؤكد ان هذه المنطقة كان يسكنها العساكر السودانيون .

كما اننا نجد ـ الآن ـ أن المسلمين فى أوغندا لايتمركزون فى منطقة واحدة وانما ينتشرون هنا وهناك . وهذا دليل ساطع على الدور الذى قام به الجنود السودانيون فى نشر هذا الدين ، فان هؤلاء الجنود لم يستقروا فى حصن أو مكان واحد ، وانما جابوا كل اصقاع أوغندا ، واستقروا فى حصون عدة كانت موزعة فى كل انحاء البلاد، وعن طريق تعاملهم واختلاطهم وتصاهرهم مع السكان المجاورين لتلك القلاع الحربية استطاعوا أن يحولوهم الى الاسلام وأن ينشروا بينهم كثيرا من العادات والتقاليد والخصائص السودانية .

وهذا يقودنا الى نقطة هامة ، وهى أن اثر هؤلاء الجنود لم يكن دينيا وعقائديا فحسب ، بل كان تعليميا واجتماعيا وثقافيا فى نفس الوقت ، فان السودانيين كانت لهم سماتهم وخصائصهم وثقافتهم الخاصة التى تختلف عن خصائص وعادات العرب المسلمين الذين وفدوا من الساحل . وبمعنى آخر كانت لهم ثقافتهم المميزة ، واستطاعوا أن يطبعوا السكان المحليين ـ الذين كانوا على اتصال واختلاط وتزاوج معهم ـ بكثير من خصائص تلك الثقافة السودانية ، وبذلك اصبح الكثيرون من الاهالى الوطنيين سودانيين فى العادات والتقاليد والثقافة .

المصادر والمراجع :

العربيـة :

الدكتور السيد رجب حراز : افريقية الشرقية والاستعمار الاوربى ، القاهرة ١٩٦٨ .

محمـد عبد المنعم يونس : اوغندا : بين الاستعمار البريطانى والكفاح الوطنى، القاهرة ١٩٦٠ .

الدكتور محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ، القاهرة ١٩٦٣ .

الدكتور جميل عبيد : المديرية الاستوائية ، القاهرة ١٩٦٨ .

الانجليزية :

R.P. Ashe, *Chronicles of Uganda,* (London, 1894) .

A.R. Dunbar, *A History of Bunyoro-Kitara* (Oxford, 1965).

F.D. Lugard, *The Rise of Our East African Empire* (London, 1894).

Margery Perham, *Lugard : The Years of Adventure* 1859—1898 (London, 1956).

Lieuterant-Colonel H. Moyse-Bartlett, *The King's African Rifles* (London, 1956).

Kenneth Ingham, *A History of East Africa* (London, 1962).

P.M. Holt, *The Mahdist State in the Sudan,* 1881—1898 (Oxford, 1958).

G.N. Sanderson, *England, Europe and the Upper Nile,* 1882—1899 (Edinburgh, 1966).

J.R. Gray, *A History of the Southern Sudan,* 1839—1889 (London, 1961).

Bishop A.R. Tucker, *Toro : Visits to the Ruwenzari* (London, 1899).

H. Johnston, *The Uganda Protectorate* (London, 1902).

مقالات :

R.W. Beachey : Macdonald's Expedition and the Uganda Mutiny, 1897—88, *The Historical Journal,* X,2 (1967) PP. 237—254.

O.W. Furley : *The Sudanese Troops in Uganda, From Lugards' Enlistment to the Mutiny,* 1891—97 (Paper read at a conference of the East African Institute of Social Research held at Kakerere College, Jan. 1959).

J.A. Meldon, Notes on the Sudanese in Uganda, *Journal of the African Society,* Vol. VII, No. XXVI, Jan. 1908.